

كل مشروع سياسي لابد أن يستهدف المستقبل الأرفع والأففع للواقع المعيش ..

فهل عين المشروع المسمى بالإسلامي على واقعنا المعيش أم عينه على الماضي وهل ماضي النظام الإسلامي على مدي ألف عام ونيف جعل كرامة العربي أو المسلم هي الأرفع بين شعوب الأرض وحياته هي الأففع للمجتمعات التي مازال يحكمها منذ بدء غزوه لها، والأففع للإنسانية؟! إننا نستورد كل شيء حتى الطعام والملبس ولعب الأطفال والسيارات والأدوية وكل الأجهزة والتكنولوجيا الحديثة، ويفخر كبير مشايخنا قبيل وفاته بأن (الله سخر الغرب لنا ينتجون لنا ما نحتاج إليه) هل من لديه مشروع لتغيير حياة الناس من البؤس والعوز والمرض والجهل والمسألة عاجز عن إنتاج المعرفة ومستكف بمعرفة الغيب وتفاسير جوقة العمائم في الكتب الصفراء أو على شاشات التلفزيون!!؟

تحضرني قصة طريفة حدثت مع إحدى الزميلات وهي أستاذة الأدب الإنجليزي بجامعة الإسكندرية عندما أرادت إرسال رسالة عاجلة فاتصلت هاتفيا بمكتب للمراسلات العاجلة:

• (ألو.. إنت إرجنت؟!)* (إنشاء الله)* (أنت إرجنت؟!)* (إنشاء الله)* (إرجنت ولا مش إرجنت؟)* (إنشاء الله) - فما كان منها إلا أن أغلقت سماعة الهاتف -

• هذا هو الفرق بين ثقافة من لديه مشروع فعلا ومن يرى في المشيئة مشروع أمة بأسرها تعيش التخلف منذ أكثر من ألف عام!!

المشروع السياسي يستهدف المستقبل لا الماضي والمستقبل مسيرة جهود مدنية حضارية فاعلة ومتفاعلة إلى الأمام، لا إلى الخلف ولا يوجد مشروع سياسي أو غير سياسي لا ينطلق من نقد الذات. هل هناك منطوق (مقولة لها إسناد) تقول إن تقدم الأمم يتحقق في السير بقفانا؟! المشروع السياسي لابد أن ينطلق من الواقع المعيش ومعطياته لا بالقفز إلى الخلف ولا بالقفز إلى الأمام وبارتكان إلى مشيئة غيبية، حتى يرتفع بمستويات ذلك المجتمع الذي شرعه؛ ليصبح قادرا على إنتاج المعارف الجديدة لا لوك أو اجترار معارف السلف، أو معارف الغرب أو الشرق وهل الاجترار صفة الكائن الإنساني؟!؟

كل مشروع هو مجرد صورة تعبر عن إرادة مستقبلية، قيد التحقق والتحقيق. ولا تحقيق ولا تحقق لإرادة ما دون استطاعة بشرية مادية ومعنوية. ولا استطاعة في عصر العولمة دون تعاضد الأنظمة المدنية التي تعيش تحت طائلة السماوات المفتوحة، فلا أحد مطلق اليد في عالمنا الآن المعيش، ولا استطاعة دون تخطيط وخبرة وحركة واسعة تتلمس إرادة أصحاب المصلحة الحقيقية في التغيير، لا مصلحة شوفونية لحفنة من المنتفعين المنتفخين بالشعارات وبفضول إحسان عوائد نبطية زائلة، نظير السير حفاة على سطور تفاسير نص السلف الصالح (لهم الطالح للأغلبية المستضعفة). فأى مشروع للمضطجعين على وسائد الموروث (أكل ومرعى وقلة صنعة وخلق الله عايشين في الجوع وقال إبه قال عندنا مشروع!!) (كانوا في جره وطلعوا لبره)

ما يسمى بالمشروع الإسلامي أشبه ما يكون بالبحر الميت، نافع في السياحة وبوصفه ملاحه وطبابة لبعض الأمراض الجلدية. هو مجرد مشروع ذهني. من قال إن من لا يملك مخططا ولا برامج إصلاحية لما أفسده الحكام العرب بقادر على أن يغير شيئا، إذا كان مشلولاً عن أن يصلح مجرد الإصلاح ما أفسدته أنظمة الحكام المسلمين بإهمالها لمصالح شعوبها إلى حد نزع كرامتهم الإنسانية. ماذا لذي الإسلاميين من خطط للتعامل مع السياحة الوافدة المتزايدة إلى بلاد العرب وهي الثروة والصناعة المستقبلية التي لا يمتلكون غيرها بعد تصفية الصناعة البسيطة القائمة وتجريف الأرض الزراعية والتوقف عن زراعة أهم محاصيلهم (قطن - قمح - أرز، ليزرعوا بديلا عنها الكانتالوب والفراولة واللبن وبعد تقطيع أشجار البرتقال) ماذا لديهم بخصوص حقوق المواطنة دون تفريق بين دين ودين، ماهي حلولهم لمشكلات البطالة - التعليم - الصحة - الأسعار الملتهبة في ازدياد مع الأجور المتدنية، ماذا لديهم لتوفير ماء الشرب الآدمي؟ ماذا لديهم لمنع المسرطنات والأدوية الفاسدة التي تمرض بدلا من الشفاء ماذا لديهم من حلول لمشكلة البلهارسيا، سكان المقابر والأرصفة، أطفال الشوارع، الدعارة المعلنة على الفضائيات،

ابتزاز شركات الهواتف المحمولة للسذج ، العشوائيات ، الكوارث البيئية ، الرشاوى ، الاختلاسات والسرقات ، الحرائق ، تعذيب المواطنين في أقسام الشرطة ، الاحتكار المقتن، الاستيلاء على الأراضي، رغيغ الخبز.....!!!) هذه مجرد مشكلات قائمة واجب إصلاحها حتى يصبح للإنسان العربي كرامة الإنسان ، هل لديهم خطط لإصلاح ذلك ؟ لا بالقطع ، فأى مشروع مستقبلي يمكن الزعم به قبل ذلك . أنظر إلى (حماس وفلسطين والسودان والعراق والصومال وحزب الله وباكستان وأفغانستان أليست تلك بلادا للمسلمين؟ وهم حكامه أو من يولون حكامهم سلبا أم إيجابا ؟ ماذا ترى من حال شعوبها غير المرض والفقر والنوم في العراء والأطفال والنساء المشردين ، انظر إلى أعداد المتسولين في الميادين والشوارع ، هل هذا من الإسلام في شيء . إذا كان ذلكم كله بسبب الأنظمة التي حكامها مسلمين، فأى إسلام؟! ارجع نظرك إلى ألف عام ونيف مضت حيث الدولة الإسلامية على مر العصور هل بعد الخلفاء الراشدين والخليفة الأموي التاسع (عمر بن عبد العزيز) ما يقترب مجرد الاقتراب من شريعة الإسلام . انظر إلى فتاوي العمائم وأخيرها تحليل زواج المسيار، وتحريم نوم النساء إلى جوار الحائط لأن الحائط مذكر، وانظر إلى من كفروا كل شيء حتى (ميكي ماوس) في الفيلم الكارتوني، لأنه فأر، والفنران شياطين واجب شرعي قتلها. هو مشروع تكفير إذا لو كان للبحر الميت مستقبل غير السياحة أو شق قناة إليه تصل البحر الأحمر بالمتوسط عبر دولة فلسطين المغتصبة ، فسوف يكون لمشروع المكفراتية مستقبل .